

في العراق

بقلم عبد الله شيازي

مأساة الأديب

لديه من فكر وادب وفن مادامت نفسه التواقفة تمور بحب التجديد والانطلاق ، واعماقه تتمزق ويسعد بهذا التمزق الروحي .. فاعلتها هو ايضا ثورة على الاساليب البالية والنصوص الجامدة والادب التقليدي البعيد عن الحياة ، وراح يجهد في بناء ادب جديد ، ادب يستمد قوته من الحياة نفسها ، من الواقع المؤلم الذي نعيشه ، من اعماق النفس القلقة والشعور الممزق ..

المعركة بين القديم والجديد

وكان من الطبيعي بعد هذه الثورة ان تنشأ بوادر معركة هنا ايضا بين الشيوخ والشباب كنتيجة حتمية ومتوقعة للتصادم الذي يقع بين الجمود والحركة .. وكان من الطبيعي ايضا ان تدور المعركة بين ادباء الشباب انفسهم ، مادام حب تأكيد الشخصية يعمل عمله في نفس كل اديب يشعر بالاصالة والاستقلال .. وكانت طبيعة الادب من حيث كونه فنا وكفى ، وواجبانه من حيث كونه مرشدا وكاشفا ، مدار هذه المعركة .. فظهر من يدافع عن الالتزام في الادب والفن ويدعو له بقوة وحرارة ، وظهر من يدافع عن حرية الاديب والفنان فيما يكتب ويدع .. فكان الفريق الاول يرى انه من الخطئ ، بل من الجحود والسكران ، والاديب الفنان هو الضمير الحي لمجتمعه وواقعه ان يتعاضد عن حياتنا الواقعية القارقة في اليأس والشقاء حتى اخر درك من دركات انحطاط ، ويتصام عن صراخ الظلم يقع في كل لحظة من لحظات الحياة على ابناء قومه ، لينفض بقطر الندى تلالا على صفحات وردة باسمه ، او ينفث الزفرات الحرى ، ويرسل الدموع الحزينة في اثر حبيبة غاضبة ، وكأنه انسان من غير هذا المجتمع لا يعيش واقع الناس المؤلم ، ولا يحرك شقاؤهم ويؤسهم وترا من اوتار نفسه ، ولا يشير فيه عذابهم والامهم كوامن حسه الانساني .. والاديب الحق هو من يتشرب الام شعبه الكبيرة ، ويتمثل اماله بحسه الانساني الرهف ، فيكون الاحتراق وتكون النار ، والا فانه اديب كاذب دجال بالاحرى هم ارضاء نفسه المغلقة على ذاتيته المفردة ، واتباع رغباته الخاصة ..

ولقد غالى بعضهم في الالتزام والدعوة اليه حتى كادت الدعوة نفسها ، بما تحمله من سمو مقصد ونبل غاية تتحطم بين ايديهم ، لما كانوا يبذونه من تعصب لبعض الصور السطحية المهزوزة ودفاع عن بعض الافكار الفجة السيارة ، كانت كل فضيلتها انها مأخوذة من الواقع المعاش ..

اما الفريق الاخر ، انصار الحرية في الادب ، فقد كانت حجتهم تقوم على ان الوعظ ليس من واجبات الادب الاصلية ، وانه يفقد جميع خصائصه ومقوماته اذا هو. فقد الحرية .. فالاديب حر فيما ينشئه ويقول ولا سلطان عليه .. كالبلبل ، ينشد متى ما وجد نفسه تدفع الى الانشاد ويصمت حين لا يجد ذلك الدافع الى الغناء .. واذا لم تكن للادب من فضيلتغير فضيلة ادخال السرور الى النفس الحزينة فانها وحدها كافية لدحض كل الآراء الاخرى .. اما الالتزام عند بعض الذين كانوا يقفون موقفا وسطا فينبغي ان يكون طوعا لا اكره فيه ولا اضطرار ، وبذلك يحتفظ الادب بعرفهم ، بميزاته الخاصة وصفاته الدالة عليه .. ولا يكون سلعة تباع او منبرا للوعظ والارشاد ، وغيرها من الحجج والآراء المستعارة من

يتساءل البعض عن الادب في العراق ، ابن هو ، ولماذا يسير السى الركود والانكماش وقد كان يحاول ان يشق له طريقا في الركام ؟ .. بل لماذا ازداد تضاملا خلال هذين العامين من الثورة ؟ هل كانت الاحداث اضخم من ان يعبر عنها بدراسة او تحليل ، ام ان الاديب نفسه كان ضعيفا متهاككا ليست له صفة من صفات القوة والعمق حتى ينفصل بها ويهضمها ويتمثلها في اعماقه ومن ثم يصوغها في ادب رائع وفن قوي؟؟ ثم اين هو الاديب العراقي ، وما سر تخلفه عن ادباء العرب بصورة خاصة والعالم بصورة عامة ؟ .. وما سبب هذه الانعزالية التي تكساد تكون طابعه الخاص ؟ .. ولماذا ينكمش داخل نفسه هذا الانكماش الواضح وقد كان كل شيء فيه يدفعه الى العمل والنشاط ؟ .. ان يعود السبب في ذلك الى القلق الذي يسيطر على هذا البلد كجزء من القلق الكبير الذي يسيطر على العالم ؟ ام يعود الى فقدان الطمأنينة والاستقرار وهيمنة الاضطراب على حياة الاديب الفكرية والنفسية ؟ ام ان السبب يعود الى اندمام وسائل النشر وتبيس القم على كلمات الثناء والتشجيع ؟ ام ان الامر يتصل بصورة مباشرة بحياته المعاشية وشؤونه اليومية ؟ .. هل ادى واحد من هذه الاسباب الى انكماش الاديب في العراق ، ام ان هذه الاسباب كلها مجتمعة جعلت منه شخصا نائما محطما منزونا لا يثار لاقامة بناء ولا يتحرك لعمل ؟

الواقع ان دراسة هذه الاسباب منفردة ومجموعة تحتاج الى بحث كبير قد لا تستوعبه هذه الكلمة ، ولكننا مع ذلك سنحاول جهدنا ان نشرحها باختصار ، ونوضح للمستفسرين والمتسائلين عن الادب في العراق بعض العوامل التي كانت سببا في انعزاله وانكماشه ..

بعد الحرب

ان اي مطلع على خط سير الادب في العراق ، يعلم تماما ، انه في اعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت افلام كثيرة تكتب في شتى المجالات ، في الادب ، والفن ، والفكر .. شباب كان مدفوعا بحماس كبير لانتاج ادب جديد .. كان يقرأ بكثرة ويستوعب ما يقرأ ، وكان التعطش الى الثقافة والتحرق الى تفهم اصول هذه النهضة الحديثة للادب والفن يدفعانه الى متابعة ما ينشر في البلاد من كتب مختلف العلوم والاداب والفنون لشاهير الكتاب العرب ، امثال طه حسين ، والمازني والزيات والعقاد والرافعي والحكيم ولطفي السيد وتيمور وغيرهم من الذين يعدون بحق بناة الادب الحديث ومؤسسيه .. وبدفعانه ايضا الى متابعة ما يترجم لشاهير الكتاب في العالم والعناية بهم واستيعاب افكارهم العميقة ، بالاضافة الى ما كانت تحمله سائر المجلات العربية ، كالمسألة والرواية والثقافة والمقتطف وابولو والكتاب المصري والكتاب وغيرهم من بحوث قيمة ، ودراسات مركزة ، ومناقشات مثيرة تدور حول طبيعة هذه النهضة الفكرية الحديثة وهذه المذاهب الادبية الجديدة التي كانت تحاول ان تؤكد وجودها بما كانت تحمله من حيوية وتدفق .. فكان الاديب في العراق يحاول من خلال المعركة التي كانت قائمة آنذاك بين انصار القديم والحديث ، او بين مؤيدي ادب الشكل واللفظ ومؤيدي ادب المضمون والمحتوى ، ان يحدد هو ايضا موقفه من هذا الصراع ويؤكد وجوده كإنسان له الحق في ان يعلن ما اختر

الصراع الذي كان فانما في اواسط القرن التاسع عشر ، بين ادب الشكل وادب الذات ..

فترة وجمود

ومهما يكن ، فقد كانت هناك حركة قوية ، وبوادر بناء لادب حي يفتدى بالعرق ويسقى بالدموع .. الا ان هذه الحركة بدأت تفتت شيئا فشيئا ، وهذا النشاط بدأ يتضاءل ، وظلت الاسس التي انشئت كما هي لم يرق عليها البناء الذي كان منتظرا .. وكان الذين كانوا يعملون في تلك الاسس قد سئموا البناء ، او انهم وجدوه اصغم واشق من ان تحتمله نفوسهم الفضة فتركوه ولما تبد معالمه بعد .. وشيئا فشيئا بدأت الافلام نخفي ، افلام كثيرة ، كان ينتظر منها الشيء الكثير لو انها ظلت مدفوعة بمثل ذلك النشاط والحماس .. وبدأت يد النسيان تمتد الى وجوهه كانت تفتت في المقدمة من المعركة ، وانزوى ادباءه او انكمشوا داخل نفوسهم ، ثم جرفهم التيار وانفروا في الحياة العادية الراكدة ، ولم تبق غير فئة قليلة ظلت تصارع الحياة بقوة وعنف لكي تؤكد ، بين الفتنة الطويلة والاخرى ، وجودها المهدد بالابتلاع ، وغير فئة اخرى كانت تتخذ من الادب وسيلة لتجارة او مركز .. فلماذا كانت تلك الدفقة القوية من الحركة والنشاط ، ولماذا اغتبط هذا الفتور والجمود ؟ ..

العروفان المصباح الذي يصنع خصيصا لكي يضيء على القوة البطارية فقط ، يحترق اذا لامسته اولى شرارات الكهرباء .. الم تكن في نفوس ادبائنا تلك القابلية الكبيرة والحركة المستمرة للعمل فتوقفوا عند اول بناء جدي ؟ ام انهم لم يجدوا الادوات اللازمة للعمل ولم يجدوا كذلك من يعينهم في البناء فتخلوا عنه والامل العظيم يمزق قلوبهم ؟ .. ام ان الاسباب التي تساءلنا عنها انفا والتي ستأتي على شرحها بصورة مختصرة هي وحدها التي يعزى اليها تخلف الادب في العراق عن مواكبة الحياة في طريقها الشاق الطويل ، واليها وحدها يعزى تخلف نفسية الاديب ، وموت الامل فيه ليعيش في دوامة من اليأس القاتل ؟ ..

الاستقرار الفكري والاطمئنان النفسي

فكما لاشك فيه ، ان الاستقرار الفكري والاطمئنان النفسي يكادان يكونان الدعامين الاساسيين للاديب المشي والمثقف المفكر .. فالاديب كما هو معروف ، يظفلة وانتباهه قبل كل شيء وترصد مرهق لكل ما في حياة المجتمع من تناقض طبيعي ومغفعل ، ولا تكون مثل هذه اليقظة ، ولا يتم مثل هذا الترصّد ، الا اذا كانت النفس على جانب كبير من الاستقرار ، فما من ادب والفكر مشغول بأمور لامنت اليه بصله ، والنفس قلقية مضطربة عن تحسس خفايا الشعور وعهق الاحاسيس .. فاكتر ما يحتاجه الاديب الفنان ، هو الاستقرار في حياته النفسية والفكرية .. ومعلوم ان غذاء الاديب الاساسي هو القراءة المستمرة .. واستيعاب الكتب الجديدة وهضمها لا يكون الا اذا توفر الاستقرار الفكري والنفسى للاديب . وكذلك الامر في حالة الانشاء .. فالاديب يعجز تماما عن اليأس الفكرة التي تدور في رأسه ، او الخاطرة التي تمور في كيانه الثوب اللائق ، او اظهارها الى عالم الوجود ، اذا كان القلق الفكري والنفسى هو الغالب عليه ، وليس القلق الذي تعنيه هنا هو الذي يكون في الاديب نتيجة للصراع القائم في داخله كان يوفق في ابراز الفكرة التي تدور في رأسه على النحو الذي يود ، او يتحرك الى اظهار وليده تام التكوين والخلفة ، ينفض بالحياة ويمع بالحركة .. فان مثل هذا القلق الفعال المنتج يدفع ولا يميت .. ولكننا نعني ذلك القلق المتجمع من الخوف .. من الغد المظلم ، من المستقبل الغامض المضطرب .. فالاديب يعيش فكرته منذ ان تولد فيه ونظل تصطرع في اعماقه البعيدة كشيء مهم ولكن يحس ، غير واضح التكوين ولكنه حي يتحرك .. ويظل يرى هذا الوليد في اعماقه كقطعة منه .. ويظل في تغذية مستمرة له .. اعصابه وقلقه ، ودموعه .. طعامه المذبذبة .. والجنين ينمو ويتزعرع حتى تكتمل

بعض جوانبه ، فيطرق عليه باب كيانه ليخرج منه .. ساعة الوضع فد حانت .. وكل الذي يطلبه في تلك الساعة العظيمة ان يكون هادئا شديد الانبساط دائم اليقظة حتى للوليد ان يخرج بحرية وسهولة ، وحتسى لا يكون هناك عسر وتشنج يقضيان عليه او يمهلان على تشويبه .. فان اية غفلة ، او انسراح في الفكر او النفس بعيدين عن مراقبة عملية الوضع كافيان ان يجعل الاثر الوليد مضطربا واضح التشويه .. فالاستقرار والاطمئنان هما الدعامتان اللازمتان للاديب كما قلنا .. ثم يأتي دور النشر .. دور ايجاد مكان في هذا الخضم الكبير للكائن الوليد .. قد لا يكون هناك سرور يعدل السرور الذي يحسه الاديب الفنان وهو يرى الجنين الذي كان يعذبه ويتفدى كيانه ، ويمنع عنه النوم ، ويحرمه بهجة الحياة ، خلقا سونيا ، ينطق بالحياة وينفض بالحركة .. ويمتلئ زوها اذا هو دفع به الى الوجود ككائن حي يشق طريقه في الحياة ..

هذا التقديم او الدفع يحتاج الى جهد اخر .. انها سلسلة من الامم متصلة الحلقات يعانيتها الاديب في حياته الفكرية ، والجهد في ايجاد مكان لهذا الكائن الوليد من اشق الامور واصعبها في مجتمعنا السذي نعيش فيه ..

الادب والمجتمع والمادة

المجتمع الحي .. المجتمع المدرك ، المجتمع الذي يقدر قيمة الحياة ويعيشها حتى نهايتها الرائعة ، يتلفف مثل هذا الكائن الحي ويحيطه بالرعاية .. ثم يأخذ في تقديمه وبرزاز شخصيته واظهار ملامحه بصورة ناطقة لعظمة الانسان المبدع ، ولا ينسى بعد ذلك ان يكافئ « المبدع » هذا بالثمن الذي يستحقه .. ذلك لانه يدرك ان المال هو عصب الحياة ، وان ما تشاهه الاديب وابدهه لم يات عبثا انما كلفه غالبا ، كلفه دموعه واعصابه ، كلفه مالا كثيرا اقتطعه من فوته اليومي .. من فوت اطفاله لكي يشتري كتبنا واوراقا وعبرا .. لقد بذل كثيرا وعانى كثيرا فيجب ان يكافأ على الاقل بمال قد لا ينفق في غير الكتب .. الطعام الاساسي للاديب ..

اما هنا ، فالامر يختلف تماما .. يندفع الشاب في القراءة اندفاعا مجنوناً ، يدخر مصروفه او يقتطع من لقمته لكي يشتري الكتب والمجلات .. ويمضي ساهرا ليله كله في استيعاب وهضم ما يقرا .. وينخرم الزمن وجودة الفن المقدسة تلهب كيانه وتحرق غصارة شبابه .. وشيئا فشيئا يشعر بشيء يهلا عليه نفسه .. الجنين ينمو في اعماقه .. الكيان الحي يتزعرع في داخله .. فيزداد اما وشقاء ، ويزداد اشراقا ونفحية .. ويمضي مناعيا جنيته بحنو بالغ .. خذ ماشئت من دموعي واعصابي .. تفد بوجودي والامي .. حطم اذا شئت كياني ، فاني فقط اريدك ان تعيش ، ان تجيا .. ان ترى النور .. وتحين ساعة الطلق ، ويروح يدور كالثور الطمئن باحثا عن مكان يضع فيه مولوده .. اين ؟ .. هنا ؟ .. اين؟ هناك ؟ .. اللهم امحني القوة والعون .. وتتم الولادة ، بسهولة او عسرا ، بالام عظيمة او بغير الام ، بتزف او بغير تزف فليس ذلك بالهم .. المولود بين يديه ، وما هوذا يرتجف ويملا المكان صراخا .. وتشرق نفسه بالسعادة العظمى .. وينتفح حوله على يعثر على انسان يشاركه هذه الفرحة الكبرى .. فيجد وباهول ما يجد .. صمت هو الموت .. وسكون تبعث من كل زاوية فيه صرخات السخرية والاستهزاء .. فيعتربه الالم العميق ، الم يمزق وجوده .. ولكنه لم يكن قد يأس بعد .. ان قوة الحياة مازالت تدفعه الى الحركة والعمل .. فيمضي حاملا وليده بحذر ورقة الى بعض الصحف والمجلات ، ولكن الصمت القاتل والسخرية الرهيبة هما كل ما يمضي به .. وينخرل شيء في نفسه ، وبمهانة كبرى تطل عليه لتبتلع كبريائه كلها .. وقد يدفع لكي ينقمص دور المهرج الكبير ، فيأخذ بالدعاية للكائن الذي يكاد يتحطم بين يديه وسهام متتابعة تنفرز في اعماقه وهيئته تكاد تتخذ هيئة وحش جريح .. ولكن

احدا لا يسمع وقد يظنونه مجنوناً او متصمناً الجنون فتشع ابتسامات السخرية والاستهزاء .. وحينذاك فقط يكون اليأس هو اول ما يشعر به ، ياس قاتل .. ياس يجعله يشعر بغضب كبير على كل من يحمل كتاباً بيده .. فيرمى بولبيده اليهم وكل شيء فيه ينوح ويبيكي .. خذوه وتفقدوا به .. لقد يست منه ، وانا اكرهه واريد التخلص منه .. وانذاك فقط تتفتح قلوب الشامتين .. النشر مجاناً ، النشر دون مقابل هو كل ما يبتغيه صاحب المجلة او الجريدة هنا .. ان يملا جيوبه ذهباً على حساب اعصاب ودموع من ابتلى بذلك اللهب المقدس .. ولكن المسرحية المفجعة لم تكن قد انتهت بعد ، انها قد تستمر حتى اخر الماساة .. فان الاديب ما يكاد يجد نتاجه منشوراً حتى ينسى كل شيء .. ينسى كل مالاقي من عذاب والام وتمزق .. ويشرق الامل في نفسه من جديد ، امل رائع يضم الوجود كله .. وتكرر العملية مرة بل عشر مرات ، ولكن النشوة تكون انذاك قد فقدت معناها لديه ، ويكون الحماس قد ارتطم بالف صخرة وصخرة ، وتظامن قليلاً .. المهزلة الكبرى التي يمثها مع نفسه تتكرر في كل مرة وعلى نحو افجع وادمى .. ويهضي يسأل نفسه .. لماذا كل هذا التحرق والعذاب ، ولما اشد من اوتار قلبي اذا كانت المخالب لاتنفك في توالي تقطيعها وتمزيقها .. وتنتصب امامه اشياء قرأها في مصادر عذابه وشفاهه ، في الكتب ، فقد قيل قديماً ان النبع الذي يسيل منك اولى ان تنتفع به اولاً ، والا فخير لك ان تظلمه .. ويتساءل ويكون الانكماش شيئاً فشيئاً محظماً كل شيء .. ثم تفتح الحياة له ذراعيها لتحتضنه من جديد .. الحياة النافهة .. حياة التنبط والاسترخاء والانغماس في مباحث كان يعدها ردائل .. ويصفق له المجتمع مرحباً به ومعلنًا انتصاره عليه ..

مشاغل الحياة

ليس انعدام الاستقرار والاطمئنان في حياة الاديب ، وعدم توفر وسائل النشر ، او تعهد ما ينتج بالرعاية والعناية والتقدير ، السببين الرئيسيين في خمود الاديب في العراق وانكماشه على نفسه .. فهناك ايضا الحياة المعاشية .. الرزق اليومي ، العمل المرهق ..

كان لي صديق يكتب للاذاعة قصصاً سهلة التركيب سطحية المعنى ، وتمثيلية خفيفة . وكنت اشعر انه يملك من الطاقات الخزونة ما يستطيع معها لو انه انتفع بها وسفح من روحه ونفسه شيئاً فيما يكتب ، ان يأتي بشيء جيد .. فكان يقول : واني لي ان اكتب الشيء الذي تشده وانا بها اكاد اجلس للكتابة حتى يتشعب فكري الى نواح عدة في كل زاوية ينتصب دينار او نصف دينار .. وقد كان يعاني ، كأي فرد اخر ، ضائقة مالية وديوناً كثيرة .. فكان يتخذ من الكتابة وسيلة يعناش منها .. يقبس ما يكتب بالشبر .. الشبر بكذا .. كانت الحاجة تضطره الى ان يحول دموعه وعرقه واعصابه الى دراهم يسد بها افواه الدائنين ..

ولقد ذكرنا انما ان غذاء الاديب الاساسي هو القراءة المستمرة ولا يأتي هذا الغذاء عيشاً ، او يتلقفه من الطبيعة مع الهواء ، انما يدفع ثمنه دراهم يقطعها من قوته اليومي وقوت اطفاله .. وهذا الغذاء يحتاج الى هضم وتمثيل لا يمكن ان يتحقق الا في جو هاديء واطمئنان الى المستقبل .. والموهبة كما يقولون واحد في المائة ، والبقية كد وجهد وعرق .. فالتفرغ للادب والفن والفكر ، امر ضروري ولازم لكل من يريد ان يبدع شيئاً جيداً .. ولا يكون هناك انتاج عميق والفكر موزع في مجالات شتى ليس من بينها ماله صلة به والنفس فلقة مما يأتي به الغد المظلم .. وكما ان اية مهنة اخرى غير مهنة الادب والفكر لا يتم اتقانها واستيعابها والتسلط عليها الا بالتفرغ التام لها واعطائها كل وقت صاحبها وكل طاقاته وجهده وابعاد كل عمل يتنافى وطبيعة مهنته .. فكذلك مهنة الادب ، فانها تحتاج الى تفرغ تام وجهد مستمر وعذاب دائم حتى يتمكن منها صاحبها ويتسلط عليها ، والا فانها تتحطم بين يديه وتمسخ الى هواية طارئة لا يعود اليها الا في اوقات فراغه ، وتادراً ما يحظى بمثل هذه الاوقات ..

انه مضطر الى قتل كل تلك العوالم المشرقة التي تسع في خفايا نفسه وفكره ، ذلك لان الادب والفن لا يطمئنان صاحبهما في هذا البلد وقد يوديان به الى الجوع .. فلا مفر اذن من ايجاد وسيلة يعناش منها ، فينخرط في عمل يتنافى وحياة الفكر تنافياً تاماً .. عمل بعيد كل البعد عن النامل والهضم والاستيعاب وليس من سبب يربطها به او يجمعها اليه .. عمل جاف مرهق يقتل فيه احساسه الطيبة واماله الوليدة وشعوره السمع .. عمل يحجر فيه اعماقه الحسنة ويظفي تلك الجدوة التي تتوفد فيه ، جنوة الفن المقدسة .. وها هوذا الاديب يعود الى بيته بعد ذلك العمل الشاق بساعاته الطويلة والنمب يكاد يقضي عليه والاعياء يكاد يقتله .. يجر خطواته حزينا مهموما والامل يقتصر قلبه عسراً ، فما هي ذي اشياؤه العزيزة ، اشياؤه الكبيرة ، اشياؤه التي لا يعدها بالكون كله ، تتحصر بين يديه وتموت ولا يستطيع لها شيئاً .. وتتساقط الدموع صامتة في نفسه .. ليس هناك من يفهم حقيقة ما يملك ، وليس هناك من يدرك عظمة ما يفقد .. في كل يوم يدفن في نفسه ، صفحة من وجدانه ، فلذة من كبده ، مزعة من وجوده .. وقد يزفر في بعض الاحيان زفرة عظيمة تكون بمثابة الاحتجاج الكبير على الوجود وعلى الكون كله .. وهذا غاية ما يستطيع فعله .. ان يخرج بصمت وفي داخل اعماقه فقط .. فاي شيء يستطيع هذا الانسان بعد هذه الالام العظيمة والاجهاد الكبير لفكره وجسده .. اي شيء ؟ .. اجل قد يعاوده الامل مرة واخرى ، وقد يحس برعشات الحياة تبعث من بعض الاجنة تدغدغ كيانه ، والتي لم تمت بعد ، فما زالت بقايا طراوة من وجدان تبعث فيها القوة والحياة .. ويمضي خفيفاً الى مكان بعيد عن الناس والاشياء ، او يضع نفسه في حجرة يحكم عليه ابوابها ويفللق نوافذها .. انه يريد ان يكون خالصاً لنفسه ، ينعم بمفرده بهذه الحياة التي ندب فيه ، بهذا اللهب القدسي .. فيضع الكتاب في حجره بعناية ورفقة وينسى كل شيء .. او ينثر الاوراق امامه ويعزبه الفيوية ، ولكن الى متى يستطيع تمثيل هذه المهزلة مع نفسه .. مائة مرة .. ألفاً ؟ .. وبعد ، ان كل شيء يقف ضده ويعمل خلاف ما يبسطحبه في وجدانه وفكره ..

لقد كانت هناك ايام كثيرة تتلمس طريقها في الظلام لتبني شيئاً ، لتقيم بناء .. كانت صادقة وكانت نشطة ومنتدعة ولكنها تيبست وهي لما نزل في نضارتها وغضارتها .. لماذا ؟ .. الركن وراء اللقمة ، العمل الرتيب الشاق ، الخوف من الغد ، القلق من المستقبل المظلم .. انها اشياخ التي تطارد الاديب في حياته ..

اسباب اخرى

وقد يتساءل بعد هذا متسائل ويقول ، ان محاولة تضخيم هذه العوائق والاسباب في تبرير انكماش الاديب في العراق وخمود الادب امر مفالي فيه ، او انها ليست الاسباب الوحيدة التي عملت على جمود الادب في العراق ، ان هناك اسباباً اخرى غيرها ، اسباباً لا علاقة لها بالاستقرار والتفرغ والحياة المعاشية ، فهناك مثلاً الفرور الكبير الذي يرافيق المتأدب في مطلع حياته الادبية ، ويكون سبباً في القضاء عليه ، وهناك الازدواج في الشخصية ، ومحاولة هدم كل عمل طيب او غير طيب .. اجل ، ان هذه الامور قد برزت بشكل او باخر في مطلع حركة البناء التي اشرفنا اليها انفا ، فظهر من ركنه الفرور الكبير وهو لما يبصر بعد فخيال اليه وهو في اوج نشوته ، انه قد بلغ القمة وادرك الكمال ، فراح ينيه خيلاء ويحتقر كل الاقلام التي كانت تتلمس ، مثله تماماً ، طريقها في الظلام ، وكانها كانت تنازعه العرش او تريد ان تسرق من يده الصولجان .. ولم يكن هناك عرش ولم يكن هناك صولجان .. فقد كانت محاولات لا اكثر ، محاولات اقلام راعشة لبناء شيء جديد .. وما انشيء لحد الان لا يعيد شيئاً بالقياس الى الادب العربي الحديث ، بل العالمي .. ولكنه الفرور الكبير .. وظهرت ايضا الضحالة والسطحية .. هذه

الأدباء

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلخون ٢٤٨٢٢

الإدارة

شارع سوريا - رأس الخندق العميق ، بناية الاسم

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة

في الخارج: جنيهان استرلينيان

او ٦ دولارات

في اميركا: ١٠ دولارات

في الارجننتين: ١٥٠ ريبالا

الاشتراكات الرسمية: ٢٥ ل.ل. او ١٠ يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

*

الإعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الاداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

النوازع الفردية قد توجد في حياة المجتمعات بصورة عامة كما توجد في حياة الادب في حالة التفرغ والاستقرار وليس لها علاقة بالخوف والركض وراء اللقمة .. فالاسباب الاولى هي الاصل واليهما وحدهما يعزى خمود الادب في العراق وانكماش الاديب على نفسه .. والاخيرة قد تكون فروعا او لا تكون .. والجشع المادي البشع الذي يسيطر على اصحاب الصحف والمجلات ، والعمل المرهق الرتيب ، والخوف من الجوع ، والقلق من المستقبل ، حالة التوتر الشديد التي تهيمن على اعصاب الاديب ، والياس الكبير الذي يسيطر عليه ، والفرع القاتل مما يأتي به القدر .. هذه كلها ، واخرى غيرها هي التي ادت الى خمود الادب والفن والفكر في العراق ، وهي التي جعلت من الاديب العراقي شخصا منكمسا ، يانسا محطما ، لا يدافع لعمل ولا يتحرق لبناء. لقد فقد كل تلك الاشياء العظيمة التي كانت تدب في كيانه .. رآها تحترق بين يديه وتموت امام سمع الناس وبصرهم ولا من كلمة مواساة واحدة ، ورأى ايماضات فكره الوليدة تستحيل الى رماد لانفع فيه ولا رجاء ، رماد ابيض يكاد يمزق وجود صاحبه في لحظات التذكر الصامت .. كان يامل لتلك الايماضات الوليدة ان تتوقد وتضيء ، ان تمنح الحياة شيئا جديدا ، ان تثير ما هو مظلم ، وتحرك ما هو ساكن جامد .. ولكنها سحقت وهي في اول لعانها .. ورأى جذوة الفن في نفسه ، تلك الجذوة المقدسة ذات اللهب الرائع ، ترمي بالف حجر وحجر .. وهو ينظر فقط ، ينظر وعالم تام التكوين يتهاوى في اعماقه ويستحيل الى انقاض .. اجل ، انه قد يعود الى ذلك الركام في الفترات البعيدة ، يبحث فيه عن شرارة لم تطفأ بعد .. ولكن مثل هذه المحاولات تكون كذلك الام التي تعود قبر وحيدها في لحظات الالم المعض .. وتستقر على وجنتيه دمعاً صافية كيبيرة ..

الادب والثورة

وحيث قامت الثورة ، كانت الافلام تلك قد بلغت حدا من التيبس لم تستطع معه مواكبتها .. وظلت تنظر بذهول ، وتحرق باخلاص ان تستمد بعض القوة من هذه الثورة فتعبر عنها او تحلها ، ولكن ، هيهات ، ان المخزون من طاقات الماضي لا يكاد يذكر .. والاعماق الخصبة تكاد تنضب او هي على وشك النضوب ، فقد انقطع الرفد منذ امد طويل ، وكل مظاهر من تعبير عن الثورة كان سطحيًا ونافها ، يمس السطح مسا خفيفا مصطنعا ولا يفوض الى الجوهر ولو بمقدار سنتيم واحد ..

انها النهاية المروعة لحياة الاديب والمفكر في العراق ، كنتيجة حتمية لذلك الصراع المر بينه وبين تلك الافات المتشابكة المتداخلة مع بعضها ولا ينتظر من اديب او مفكر او فنان ان يمضي الى اخر الشوط وهو سجين تلك القيود القاتلة ، وان الاسس الطرية ، تلك التي انشأها بدموعه واعصابه ستنزل كما هي اسسا واهية غير ذات قيمة من الوجهة الموضوعية بالقياس الى الادب العربي الحديث ..

اجل ، قد تظهر في قابل الايام ، محاولات اخرى جديدة ، محاولات تشد من هذه الاسس بقية اقامة بناء عليها .. وقد تظهر اقلام جديدة اخرى ، اقلام فنية ، تحاول من جديد ان تنشئ وتبني مدفوعة بحماس الشباب وحيويته ولكنها ستتلاشى حتما ، اذا لم تتحرر من الخوف ، او تامن القدر ، او تنعم بالهنوء والاستقرار ، او تجد من يعينها ويأخذ بيدها ويمسح عن جبينها جبات العرق وغمامم الالم ، والا فان المأساة الدامية ستنزل تنكر في تشابه تام ونهاية واحدة .. مادامت كل تلك الافات والاسباب التي ذكرناها انفا هي المسيطرة على الاديب في حياته الشاقفة الطويلة ..

عبد الله نيازي

بفساد